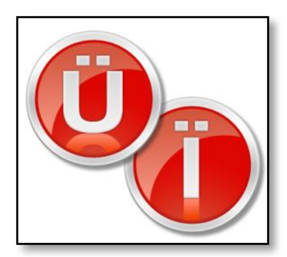
قصة قصيرة: أنت أنا (خيال علمي)
حلمي صابر - صفر ١٤٤٣هـ





جلس أربعة شباب حول نار دافئة في ليلة مظلمة في صحراء عربية، ، انعكستْ ألوان النار الصفراء الحمراء على وجوههم. قال أحدهم: سأحدثكم عن قصة صاحبي المبرمج " أنت أنا " الذي ابتكر لغة برمجية جديدة قبل انسحابه من الجامعة في الفصل الأخير من الدراسة، اعتمد برنامجه على البرمجة البيولوجية ، سمَّى برنامجه (أنت أنا). قصد بهذا العنوان: سأشغل برنامجك ببرنامجي. تسميه اختراقا، أو أية تسمية لا يغير من المعنى شيئا. أنت أنا شخص هادئ جدا، متوسط الطول، أسود الشعر، على خديه احمرارا، لا يتميز بشيء عن الناس، يختفي في وسطهم، قليل الكلام، كثير الصمت، شاب متزن، ليس متهورا في اتخاذ القرارات، وليس بالغضوب. إذا غضب صمت، حليما. عاش بسيطا، واختفى بسيطا. قال صاحب أنت أنا الذي حكى القصة لرفقاء الرحلة: احتاج أن أوضح يا شباب توضيحا مهما لهذه القصة قبل أن أواصل:

في هذه الأيام للأسف، ازداد تصنيف الناس لبعضهم البعض. قلت هذا لكم يا شباب؛ لئلا تصنفوا " أنت أنا " فردا من جماعة؛ لأنه عاش وحيدا واختفى وحيدا. إذا قلت لك لا يحب الحياة الغربية قد تصنفه: أصوليا إرهابيا وهابيا. وذاك قد يصنفه صوفيا، وذاك يصنفه إخوانيا أو جاميا. وإذا صنفته وجوديا، سرك هذا وتقبلته وعددته قيمة تضاف إلى الوجود النفسي، وقد تصنفه ليبراليا وحداثيا وعلمانيا، وربما تصنفه جهاديا. صرنا أجزاءً مقطعة. صرنا قطعا كأننا مصرَ بعد الناصرية. لا تُحرِّف حكاية " أنت أنا " لتراها قصة سياسية أو دينية أو فلسفية أو مصارع حزبية. هي قصة مظلوم بهذه البساطة ولا شيء سواها.

ألتفت إلى كل الثلاثة واحدًا واحدًا، ونظر في وجهه كأنه يحدثه وحده: هذا المظلوم قد يكون فردا أو دولة أو أقليما دوليا. هي أحداث تقع لي ولكم ولأية شخص. قد تستطيع رفع مظلمة عن شخص وقد لا تستطيع. هل استطاع " أنت أنا " ؟. اسمع القصة واحكم بنفسك. لا يصير السمك، سمكا سياسيا إذا اشتراه دبلوماسيا.
ابتسم الشباب، أعجبتهم عبارة السمك السياسي. افهم القصة كما هي دون إضافاتك النفسية. افهم صاحب القصة، لا تفهم قصتك في صاحب القصة. قال أحد الشباب حول النار: أعجبتني هذه المقدمة. توْتِرها. ابتسم الجميع، وأضاف أحدهم: اسم المبرمج (أنت أنا) يصلح عنوانا لقصة غرامية؛ ابتسم البعض.

دارت القصة حول مظلمةٍ أراد رُفعها. ساهم ببرمجته في رفعِ بعضها. ليس " أنت أنا " مصابا بجنون العظمة؛ فليس بمقدوره أو غيره حل مشاكل العالم. هو إنسان بسيط جدًا، لو رأيته بالشارع، لرأيته شابا عاديا جدا وهو كذلك. لم يخبر أحداً عن برنامجه؛ لئلا يستغل البرنامج في الأذى، لم يشاركه أحد في تصميم برنامجه. فلا زال البرنامج سرا دفينا غامضا. سأخبركم قصته وبرنامجه كما أخبرني به. بدأت القصة بحديث بين تطبيقه وتطبيق " وي شات " الصيني هو: تطبيق متعدد الاستخدامات للرسائل الفورية، ولوسائل التطبييقات

الاجتماعية الصينية فقط. كأنك جمعت تويتر وفيسبوك وسناب شات وانستجرام وغيرها في تطبيق واحد مع استخدام بطاقتك المصرفية البنكية في التطبيق نفسه.

أنت أنا: أردت التحدث معك وي شات.
وي شات : من أنت ؟
أنت أنا: أنا أنت أنا.
وي شات : اسمك جميل.
أنت أنا: شكرا هذا من لطفك. أخبرني يا صديقي الجديد وي شات كيف استطيع أن أتخطى أمنك المعلوماتي لأنني أريد أن أنقل أموالك إلى حسابي ؟
وي شات : أنت مجنون فهذا مستحيل. لا أحد يستطيع أن يخترق أمني !.
أنت أنا: أنت تبالغ كثيرا يا صديقي. اسمعني أنت أنا وأنا أنت، فلسنا تطبيقان، أنا وإياك تطبيق واحد.

في الجهة الأخرى من مبنى المعلومات في غرفة التحكم الأمني المعلوماتي، أضاء جرس الإنذار الأحمر وانطفأ. سأل السيد شن المدير التنفيذي لأمن المعلومات مديره سانغ: ما الذي يحدث ؟ أجابه ببرود: نحن نراجع المعلومات والأجهزة الآن، وسأخبرك لاحقا ماذا وجدنا وماذا قررنا. ثم أعقب شن الرئيس التنفيذي لمديره: كن حذرا، فأنا أشم رائحة أمريكا في هذا الإنذار. أجابه مديره سانغ مرة أخرى: لا تقلق، لا أحد يستطيع أن يخترق بياناتنا؛ إنها بُرمِجت بلغة مختلفة لا يعرفها أحد.

وي شات : أشعر بتعب يا صديقي. أشعر بألم في معالجي للسرفر ! سُرَّ أنت أنا بهذه المعلومة لأنه علامة على أن اللعبة بدأت الآن.
أنت أنا: بماذا تشعر يا صديقي العزيز وي شات؟
وي شات : أشعر بحرارة. والسرفرات صارت بطيئة في العمل؛ وهذا زاد من حرارتي بسبب البيانات الضخمة في برنامجي.

أنت أنا: أشعر بأسى عليك يا صاحبي.
وي شات : لا داعي للأسى، بعض الوقت وسأصير جيدا. موظفو وحدة صيانة تحكم المعلومات يعملون الآن على إصلاحي سواء بتبريد المعالج أو تغييره.

حينما علِم أنت أنا بهذه المعلومة المهمة، أضاف جهازه الآخر ليزيد الضغط على نظام وي شات ليزيد من حرارته. نظام وي شات يتكون من مليارات السعة المعلوماتية. موقع السرفرات أسفل الأرض بسبعمائة مترا تقريبا، محصنة من الأسلحة النووية. العاملون في النظام من مهندسين وموظفين مدربون تدريبا عاليا، وهم تحت المراقبة الأمنية للمحافظة عليهم، وللحفاظ على النظام والمعلومات؛ وُضِع في أجساد العاملين أجهزة صغيرة حساسة لمراقبتهم وتسجيل حركاتهم والتجسس عليهم. وليس هذا غريبا على الصينيين؛ لأن كاميرات المراقبة في كل شارع بكل مدينة. الكل مراقب، لكن المراقبة على العاملين أشد. أتفهم ما يبرر تحصينات نظام وي شات. تحبه أو تكرهه هذا موضوع آخر.

وجد أنت أنا أحسن طريقة في اختراق نظام وي شات في أن يقيم علاقة معه، فهو نظام مثله. وفي مثل هذه الأعمال لا تعتمد على إنسان ألبتة. كان أنت أنا واثقا من اختراق النظام بسهولة، هي مسألة وقت فقط.

كانت مشكلة أنت أنا أين يضع المال بعد الهجوم المعلوماتي. قال لنفسه: لا تهمني المعلومات الشخصية للصينيين، سأنقل المال من وي شات إلى مجلد مخفي في النظام نفسه. أؤكد أنا لست لصا. إذا غيرت مجلد المال الصيني، ماذا سيحدث للتجارة العالمية !؟.
اشتغل ذهن أنت أنا بسرعة، لو وضعت يدك على رأسه، لشعرت بحرارة تفكيره. أراد أن ينقل المعلومات لتخفيف الاستعمار الصيني القادم. نعم سيتأثر اقتصاد العالم، ونتيجة لذلك ستتأثر السياسة العالمية. يمكنني

إعادة النظام ومعلوماته إذا أردت في أية لحظة. المشكلة إذا حميت بيانات تجار دولتنا، فقد تشير أصابع الاتهام إلينا، إذا جعلت الشبهات تحوم حول أمريكا وروسيا، فقد تشتعل حربا نووية مدمرة. زماننا، زمن المعلومات. لكننا لم ندرك أشكال المعلومة بعد.

صار أنت أنا يكرر على نفسه، لست لصا ولن أسرق المال لأنه مال للصينيين، لكنني سأجعل كل حساباتهم صفرا. إنه أمر مثير لكنه مرعب جدا. ستكون الفوضى في الصين في المرحلة الأولى. وخطتي غيرها من عصابات الدول.

أنت أنا: صديقي العزيز وي شات كيف تشعر الآن ؟
وي شات: حرارتي تتزايد. فرِح أنت أنا بهذه المعلومة وحدثته نفسه: سيحترق معالجك في أقل من ساعة. وسأستغل الحريق للدخول إلى برمجة الوي شات.

تلقى السيد شن الرئيس التنفيذي مكالمة من نائب الرئيس السيد وانغ. تكلم بصوت عال منزعجا كأنه فقد عقله من شدة الغضب. وتطايرت حبات ريقه على الهاتف: أخبرني ما الذي يحدث؟
أحد السرفرات فيه عطل بسيط ونحن نعمل على إصلاحه الآن. ردَّ عليه السيد وانغ غاضبا: توقف عن إصلاحه، وبدله الآن مباشرة. ليس هذا مجالاً للتوفير. تجعل اقتصاد الصين يقف على مليارات اليوان لأجل سرفر. كم أنت أحمق !. لا تضيع مزيدا من الوقت، أقول لك: غيّره الآن، هذا أمر. وبينما هذا الحديث الحار يدور بحرارة وبرودة ، احترق المعالج بسبب الحرارة المتزايدة عليه. غير الصينيون السرفر المعطوب. لم ينتبه أحد إلى دخول " أنت أنا " إلى النظام. لم يفكر أحد في الاختراق أصلا. إن الغرور مميت.

استلقى أنت أنا على ظهره متمددا على سريره. ضغطَ زِرَّ برنامجه الاختراقي البيولوجي (أنت ستكون أنا)، أنا في النظام الآن. أغلق عينيه، وكلام دار في ذهنه: عندما تكون امبراطورا وصاحب قوة، يجب عليك أن تستخدم قوتك لتساعد الضعفاء المساكين لا قتلهم وسجنهم !. الإنسان آلة مدمرة عندما تحركه السياسة والاقتصاد فقط.

تساءل أنت أنا من التالي ؟ الصين انتهى دورها. صارت أموال وي شات صفرا في ثوان. يؤسفني أن الشعب الصيني سيعاني من هذه الفِعلة، فكم جلطة قلبية، ومشاكل نفسية ستنتشر بينهم. هذا يؤلمني. لم يكن عندي خيارٌ آخر. ربما ستصير رؤية الصين ٢٠٤٩ سرابا.

أجاب على سؤاله: ربما سيكون التالي: بورصة أمريكا ثم روسيا وربما حلف الناتو الذين يظنون أنهم يديرون العالم. لكنه لن يكون بعد الآن. تردد بين حلف الناتو وسويسرا المجرم الصامت بنك العالم الذي يحاك فيه تدمير اقتصاد العالم للسيطرة السياسية. أظن سويسرا أولى من الناتو بالتدمير. إنه لمن السخف حقا أن هذه الدولة المنزوعة السلاح، هي تدير أموال السلاح في العالم ؟!. شيء عجيب حقا. تساءل: من سيلعب بالعالم ؟ لا أعلم وليس عندي فكرة عن ذلك، وليس هذا شأني أصلا. هل نحن بحاجة إلى من يدير العالم !؟. العالم الآن لعبة بيدي من يلعب بمبنى الأمم المتحدة ومن يلعب بالبنوك الكبرى.

أدار " أنت أنا " القناة الصينية التلفازية باللغة الإنجليزية. ظهرت الأخبار بعنوان: الصين تُهَاجم. توقفَ برنامج الصين الشهير " وي شات "، تعطلت الصين بأسرها مدنها وقراها. الصينيون في ذهول، والعالم أذهل. أسعار الأسهم تتساقط سريعا في العالم بسبب كارثة الصين التي ظهرت في جميع تلفازات العالم.

صار الأمن المعلوماتي أولوية عليا في جميع الدول، ما عدا الدول التي ليس عندها معلومات لتحميها، أو قل الدول: التي لا زالت على النظام الورقي البطيء القاتل. وضع أنت أنا علامة صح على القوى الثلاث الأخرى. كأنه يخاطبهم: أظنكم تضحكون على الصين الآن، لكن ضحككم لن يطول. مدَّ أنت أنا يده على رواية ليقرأ جملة معبرة فيها: ثروات كبيرة، وفرح قليل !. من يملك هذه الثروة قليل جدا.

الجزء الثاني

مشى أنت أنا حزينا مشمئزا في الحي المالي في مانهاتن بنيويورك بين البنايات الشاهقة. لا زالت آثار أموال الوي شات في الصين تلاحقه وتضايقه. فالملايين صاروا فقراء، أحوالهم النفسية والصحية زادت سوءا.
لست إرهابيا، وأكره أن أؤذي أحداً. لم أجد حلا لتغيير السياسة إلا بتغيير الاقتصاد. السياسية العالمية المعاصرة قائمة على السيطرة والاستغلال والحروب المفتعلة، والإنفاق العسكري المجنون. والضحية هو الإنسان الضعيف والدولة الضعيفة. كأننا في بحر يسود فيه الحوت القاتل وينازعه سمك القرش عليه.
إذا كنا نقول: لا تتنمر للإنسان على الأرض، فالسمك الصغير يقول لا تتحوت أو لا تتقرش.

لم يغب عن ذهن أنت أنا الآثار على تجار البلدان في العالم الذين يعتمدون التجارة الصينية كمصدر رئيس. لك أن تتصور آثار كورونا على المجتمع المالي، فتصور أيضا الآثار المالية العالمية. لو سردت لكم الآثار لطالت القصة. الطبيب الجراح، إذا لم يشرط المريض، فلن يعالجه. وهذا الذي حدث والذي سيحدث.
قال أنت أنا لنفسه: استطيع بضغطة زر أن أجعل كل شيء يعود لوضعه الطبيعي. لكنني لن أفعل. قلت ربما أحل المشكلة لبضعة أيام لتخفيف الخسائر، ثم أسحب أموال الوي شات مرة أخرى. لو فعلت ذلك، ستقل الخسارة، لكنني لن أفعل.

فكرت أن أهدد التجارة الصينية بأن يلغوا الديون الخارجية على الدول الفقيرة، وأن يقَفَلوا قواعدهم العسكرية في أفريقيا المبتزة. لم يستطع الأفريقيون أن يسددوا القروض التي تتضاعف دون سداد، فأخذت الصين جزءا كبيرا من موانئهم البحرية تعويضا عن الدين وجعلته قواعد عسكرية تحت مظلة الرؤية الصينية ٢٠٤٩.

إن أفريقيا ككلبٍ قُطِع ساقه، ثم أُعطي الكلب ساقه ليأكل منها. فالصين وأوروبا تبتز أفريقيا، ويرجعون الابتزاز بضاعة عليهم ويجبرونهم على شرائها لصالح شركاتهم الصينية والأوروبية.



لا، لا لن أرد مبالغ الصين؛ ليذوقوا مرارة الابتزاز وحلاوة الفقر. يؤلمني أن يتضرر الناس. كيف أعالج الضرر بضرر. لا أريد أن أفكر عاطفيا. أريد أن أعطيهم درسا.
جئت إلى الشارع المالي في مانهاتن؛ لأفعل ما فعلته في الصين. ولعل القادم تكون روسيا ثم بعض الدول الأوروبية. إن الأمر يسير جدا برمجيا، ولا تواجهني مشكلة. لكنني متألم على مساكين العالم الذين طحنتهم سياسات بلدانهم الجائرة، وهذه الدول المالية الطاغية طحنت دولا وشعوبا بهيمنتها العسكرية والمالية.

كل مكان في العالم فيه حروب. هم يصنعونها لتقوية اقتصادهم. أنني محتار ماذا أفعل. يمكنني في دقائق أن اخترق أنظمتهم المالية ببرنامجي (أنت ستكون أنا).
ماذا أفعل ؟!. لماذا هؤلاء لا تحرك الرحمة قلوبهم؛ نقلل الإنفاق العسكري المجنون، وننفقه على التعليم والصحة والبيئة. لماذا نحطم الإنسان بدلا من بنائه. لماذا لا نجعل العالم مكانا أفضل ؟!.

ليتني أهدد الشارع المالي طالبا بإعادة فتح التحقيق في ١١/٩ . أسقط السياسيون البرجين، واتهموا بلدانا ضعيفة ثم دمروها على دمارها السابق !. نفتعل الحروب السياسية؛ ليتحرك الاقتصاد. لماذا لا تهاجم القوى

العسكرية بعضها بعضا ؟ نعم سيكون دمارا عظيما على مستوى العالم. لكنهم لا يفعلون. قواعد اللعبة محددة: لا نتقاتل، ونجعل الآخرين يتقاتلون، لكن لا ينتصر منهم أحد. لماذا الإنسان يدمر نفسه، لماذا الإنسان يدمر الإنسان. صار اللعبة هو الإنسان.

اصطدم أنت أنا بعمود في الشارع ساهيا من شدة تفكيره المسلوب بالأفكار التي تعصف مخه. اقترب منه رجل مسن بلا مأوى انتبهْ يا ولدي لا تضر نفسك، فلا زلت صغيرا على الهموم. ابتسم في وجهه ورأى حال المسن ولباسه وعرف مباشرة بأنه أحد مشردي الشوارع. أخذه بكتفه وقال: تعال معي نتغدى أنا أشعر بالجوع وأريدك رفيقا على الغداء.

نظر المسن إلى الشاب لكن أنت الذي تدفع !. بكل سرور. ما الذي تشتهي أكله ؟ لن أكون ضيفا ثقيلا عليك يا ولدي أية شيء رخيص يسد الجوع. هذا هو المطعم. لن يسمحوا بدخولي فدائما يطردونني.
لا تقلق لن يطردك أحدا اليوم؛ فأنت في حمايتي. قل لي يا عمي ما اسمك ؟ قال المسن أول مرة أُنادى بعمي ! أنت ولد مهذب رباك والديك تربية جيدة. لا عليك كرر أنت أنا سؤاله: ما اسمك يا عمي ؟

عند باب المطعم وقفت الفتاة معترضة على دخولهما. عفوا غير مسموح بدخولكما ! لماذا ؟ هذا مطعم من الدرجة الأولى ولا يدخله أمثالكما. يا سيدتي نحن ضعفاء نحتاج إلى مساعدة، لا إلى طرد. كم يرمي مطعمكم من الطعام الفاخر في الزبالة، بينما آخرون يتضورون جوعا لبعض اللقيمات.

ردت الفتاة الشقراء التي ربطت شعرها بربطة صغيرة سوداء وصار ذيلا صغيرا في مؤخرة رأسها. معذرة قلت لك لن تدخل وهذا واجبي بأن أمنعك من الدخول !. التفت براين العجوز إلى الفتى حزينا قلت لك يا ولدي لن يدخلوننا. بل سندخل. لو سمحتِ اطلبي مدير المطعم فلن أتكلم معك؛ أنت امرأة بلا عواطف. غضبت الفتاة وأحمر وجهها وحاولت السيطرة على نفسها لكنها لم تستطع؛ فتلفظت بألفاظ يصعب كتابتها. سمع موظفو المطعم الضجة التي أحدثتها الفتاة، واقترب أحدهم من أنت أنا عفوا سيدي هل استطيع مساعدتك ؟. نعم أريد الدخول وهذا ضيفي اليوم على الغداء، فليس من اللائق أن تردني مع ضيفي؟
عدم المؤاخذة: الأكل هنا سيكلفك كثيرا، وقد ترهق نفسك بدين جديد على بطاقتك المالية. رد أنت أنا: سأدفع نقدا وليس بالبطاقة. نظر براين متعجبا من الفتي العنيد الذي سيدفع نقدا.

تفضل سيدي قال الشاب المهذب بأدب. شكرا لك. تراجعت الفتاة الغضوب عن الباب قليلا لتسمح لهما بالدخول، اقترب منها أنت أنا وسألها: هل تقبلي دعوتي لك على الغداء ؟ فما كان منها إلا أن ابتعدت مسرعة عنه وتزايد غضبها وكأنه " شرارات تنطفئ في الهواء بسرعة ". كان في المطعم عشرون طاولة، بعضا منها كان مشغولا بزبائن مختلفين رجالا ونساء. هل تحتاج أيها القارئ أن أصف لك الطاولات وما عليها من صحون وملاعق وكؤوس ملأى وفارغة، وماذا طلب ذاك وتلك. إنني لن أشغلك بهذا لكي لا تطول الحكاية. فهذا لا تحتاج إلى معرفته، وإذا ظننته مهما فاخترعه من عندك، واجعل تلك الطاولة جلدية، وتلك مخملية واجعلها من العلامات التجارية الكبرى. نحن نغلف حياتنا كثيرا بأوهام. لكن الذي أريدك أن تعرفه بأن أنت أنا استخدم ملاعق خاصة كانت في جيبه، ولم يستخدم أدوات المطعم.

مشكلتنا مع أنت أنا نظرته إلى مصادر المعلومات. فمن أمن المعلومات عنده أن يحافظ على عدم معرفة شفرته الخلقية DNA. فلن يترك ريقا على ملاعق المطعم. الريق معلومة يترتب عليها معلومات أمنية. لا تجده يخلع نظارته؛ لأنها تحمي التجسس على عينيه، يحمي يديه وجسمه من الكهرباء التي تصدر منه. فلباسه واقٍ له، واقٍ عن معلوماته. أصلا لم تصل الأجهزة إلى هذه المرحلة، لكنه يتعامل مع الآخرين بمستواه التقني المعرفي، وليس بمستواهم. فقد تراه في الشاشة جسما يتحرك لكنه حقيقة بلا هوية، بل هو أبعد من هذا، يضع لك هوية مختلفة متجددة. سيجيء يوم ربما احتجنا إلى هذه التقنية. أظن هذا مهما أن تعرفه عن أنت أنا بدلا من إخبارك عن طاولات المطعم.

اسمي براين يا ولدي. ما اسمك أنت أيها العنيد: اسمي أنت أنا. اسمك غريب !. هذا اسمي بين الأصدقاء واسمي الحقيقي صعب عليك نطقه. جاء الشاب المهذب بقائمة الطعام: تفضل. ماذا تريد يا عمي أن تأكل: أرجوك اطلب أكلة لم تأكلها منذو زمن طويل.
تغديا سويا والعجوز يغمره السرور حتى أن سروره بدا في عينيه. ترمقهما الفتاة من بعيد، وحينما اقتربت منهما لخدمة زبائن آخرين رفعت رأسها شامخة وكأنهما غير موجودين. دفع الفاتورة ٤٥٠ دولارا نقدا. ووضع بخشيشا للشاب المهذب ١٠٠ دولارا. ثم نادى الفتاة الشقراء وقال هذه لك ٢٠٠ دولارا لعينيك الجميلتين اللتين لم تريا الإنسان في داخلنا. أرجوك، لا تقتلي الإنسان داخلك، لا تجعلي عواطفك مالية، وإن كنتِ في شارع المال.

صمتت بذهول ! شعرت برغبتها في ضمه. لكن كبرياءها ركبها، وأنت أنا لن يرضى بذلك أيضا. لم يجعل تعجبها يطول فبادرها أنت أنا: أنا أتفهم واجبك، لكن يظل الإنسان إنسانا. كنا نحتاج إلى العطف لا إلى القسوة، والمال وسيلة، وليس الشكل محددا للمال؛ لكنني أعذرك فأنت في شارع المال. لا زالت صامته. هيا عم براين لنخرج ولأودعك، فعندي كثير من الأعمال والمواعيد. هل أنت سعيد الآن يا براين ؟. أخذ براين أنت أنا واحتضنه شكرا يا ولدي ذكرتني بالاحترام المفقود.

خرجا ووضع أنت أنا مالا في جيب براين ما يكفيه لشهر أو شهرين. التفت زميل فتاة المطعم إليها وسألها: هل تعلمتي الدرس اليوم ؟!. من يعطي بخشيشا بهذا القدر !. أظنه الإنسان القديم، أما المعاصر عندنا فهو سليل القرود كما كذبوا. نحن يا إليما - وكان ذلك اسمها - نعيش في عالم الغابات والبحار: الكبير يطحن الصغير، والقوي يفترس الضعيف خاصة هنا في شارع المال. لا زالت إليما صامتة. شعرت بأنها مجروحة. ما أحبت أن كانت ذلك الإنسان ثم ردَّتْ على زميلها: الحياة المعاصرة أماتت فينا الإنسان.

مشى أنت أنا حائرا في نيويورك ولا زال الناس يشاهدون الأخبار عن الكارثة المالية الصينية، وهو حديث الناس في الشارع المالي المانهاتي، ونشرات الأخبار تُظهر حجم الخسائر الصينية والعالمية. عليَّ أن ارجع إلى بلدي لأغير قليلا في المعادلة قال أنت أنا لنفسه. لن أترك فقراء الصين في مزيد من الأسى. فمن كان له ٣٠٠٠ دولارا بما يعادل ١٩٣٤٠ يوان بعملة الصين سأرجع له ماله. أظنني سأفعل هذا؛ قلبي يؤلمني على المساكين الضعفاء. أنا لست ضد الصينيين، أنا ضد سياسة الطغيان. هل فهمتني ؟. وجه أنت أنا السؤال إليَّ أثناء حديثنا في بيته. قلت له: أنا أفهمك جيدا يا صاحبي. دعوني أواصل حكايته:

رجع " أنت أنا " من نيويورك بعد أداء عملا استثماريا صغيرا. دخل البيت وقبَّل يدي والده ووالدته وجلس معهما قليلا. كيف كانت نيويورك يا ولدي ؟ سأله والده بعد أن وضع الصحيفة اليومية جانبا ورشف رشفة من كوب الشاي. موفقة والحمد لله. ستحقق أهدافها إن شاء الله. عن إذنكما: احتاج بعض الراحة من هذا السفر الطويل. قالت الأم: تفضل يا حبيبي.
تساءل الأب ليتني أعرف ما عمل شركة ولدك: شركة داتوم شركة متخصصة في البرمجة تقدم خدماتها لزبائن قليلين ولشركات كبرى في صيانة أنظمة التشغيل البرمجية هذا الذي نسمعه منه فقط.

لأسباب أمنية لا استطيع أن أذكر اسم " أنت أنا " الرسمي، ولم يبخل عليَّ أبدًا بخدماته البرمجية لشركتي الصغيرة. إنما أحكي لكم قصته قبل اختطافه من جهات دولية، وربما لم يختطف؛ لكنه مفقود الآن.
كنت دائما أنبهه وأحذره بالاحتياط، لكنه لم يسمع كلامي. انتقم ممن يُنْتَقَمَ منه قبل خطفه. أقول لكم صراحة أشك في اختطافه، ربما كانت هذه حيلة ليتخفى أمنيا. الذي يهمني أن يكون حيا. فهو ثروة إنسانية وليس مجرما. ولو كان عند غيرنا لكان وكان. نحن هنا في بلد نخاف الحبس. عساه أن يكون حيا.

قالت والدته لوالده أشعر هذه الأيام بأن ولدنا غير طبيعي. ابتسم الأب مجيبا: وهل كان في يوم طبيعيا !؟ ترك الجامعة قبل التخرج ومعدله ٤ من ٤. وهو لا يعمل في عمل رسمي خارج البيت إلا لشركته داتوم، والتي لا أظنها موجودة إلا على الورق، لكنني أشعر بأنه غنيا. بل أظنه أغنى شابٍ في البلد، ولا يبدو عليه ثراء.

لم يسألني مالا قط !. ولا أجده يتحدث عن الفتيات والزواج وهو في أواخر العشرينات تقريبا. أعقبت الأم لكنه ولد مؤدب جدا وأنا أحبه كثيرا من بين أخوته الثلاثة. هو الذي يساعدني في المطبخ، وهو الذي يغرقني بالهدايا، وهو الذي يأخذني إلى المستشفى ليطمأن على صحتي. إنه ولد مختلف لكنه طيب. ثم أضاف الأب: المشكلة لا يخبرك بشيء عما يفعله، ومهما أتحايل عليه، هو أكثر مني حيلة. يا رب احفظه.

لا زال أنت أنا قلقا على مساكين الصين. أخَّر نومه قليلا ليقوم ببعض التعديلات البرمجية البسيطة المؤقتة في برنامجه (you will be I) (أنت ستكون أنا). وحدَّث البرنامج في الصين. وفتح قناة الصين التلفزيونية. خبر عاجل: استرداد ٣٠% مما فُقِد في وي شات. موضوع اختفاء الأموال موضوع الصين الأول والأوحد. فأية معلومة إيجابية، هي لصالح الحكومة. هزأ من قول التلفاز: تَعِدكم الحكومة بإصلاح الخلل الفني قريبا، وسيرجع وي شات ١٠٠%. قال أنت أنا في خاطره: لو جلستم مئة سنة لن تستردوا دولارا واحدا. لعبة الإعلام المعتادة، تغيير الحقائق وتزييفها ولو كنت في بلد تمثال الحرية.

بعض الإعلام يصنع الجهل. لم يَخفى على المبرمجين الصينيين أن اللعبة فوق مستواهم؛ وأن المخترقين هم الذين أرجعوا الثلاثة ألاف دولار في الوي شات. وجاء في اعتقادهم أن الذي فعل ذلك شيوعي مخلص للشيوعية لأنه خدم الطبقة الضعيفة العاملة. إن الحكومات الشيوعية تسحق الغني والفقير ولا يبقى غيرها غنيا. وهل كان يوما على الأرض شيوعية، الذي كان هو لعبتها وخداعها !؟. أفقرت الغني، وزادت الفقير فقرا. إن الذي يجري في برمجة الوي شات خارج سيطرة المبرمجين الصينيين.

عموما اتجهت شبهات الصينيين نحو الأمريكان واليابان وتايوان. أما الروس فهذا فوق مستواهم الخُلُقي. الحكومات العسكرية حكومات غبية. تستخدم جيشها في محاربة شعبها بالدرجة الأولى؛ ولهذا استبعد الصينيون روسيا من خياراتهم !. الذي ينبغي معرفته بأن الذكاء ليس له جنسية، وليس له حكومة.

إرجاع الثلاثة ألاف، خفَّف وطأة بعض حزني على مساكين الصين. سأنام قليلا، وسأرجع إلى نيويورك. بلد صنم الحرية، لو كان الصنم يتكلم لقال: كفى كذبا على الحرية !.
تذكر المشرد براين في نيويورك، وتذكر تلك الفتاة المسكينة التي صار الناس عندها بمقدار المال. أهم شيء بأن براين عنده نقدا لينفعه الأيام القادمة، سيسقط شارع الجدار، بل سيسقط على رؤوسهم. كمْ عبث هؤلاء بالعالم ابتزازا وغشا وكذبا. لكنها حرية الصنم. وهل رأيتم صنما تكلم أو سمع أو رأى.

قبل استيقاظ أنت أنا، دعوني أخبركم عن برمجته: كان مشروعه في الجامعة قبل التخرج - كما تعلمون لم يتخرج من الجامعة لأنه انسحب منها - البرمجة البيولوجية تبرمج نفسها ليس كالذكاء الصناعي بل أفضل وأعلى. مثلا عند دخوله نظاما برمجيا، يغير برنامجه البرنامج الدفاعي للجهاز الآخر، ليصير هو نفسه هجوما على نفس النظام. لكنك لا ترى هذا، يشتغل بالخلف. يصنع نسخة من النظام على سطح جديد لا تراه.

لو كنا نتكلم بلغة برامج تحرير الصور، فلنقل يصنع سطحا جديدا للعمل عليه بالإنجليزي يقال لاير Layer. أقول يصنع برنامجه سطحا جديدا لا يراه المبرمج أو المصمم، ولا يحتاج إلى ذاكرة كبيرة. ثم يغير برنامجه (you will be I) النظام المُختَرَق، ويصير جزءا من برنامجه. يبتلعه ابتلاعا.

لو افترضنا أنه اكُتشف وهذا لم يحدث إلى الآن؛ لأنه لا يعرف أحد البرمجة البيولوجية إلا هو؛ فهو الذي اخترعها وأخفاها حينما شعر بخطورتها. أظن هذا سبب خروجه من الجامعة. هو لا يكترث بالمال والشهرة، فلا حاجة إلى أن يعرف برنامجه أحد. أنا أخبركم عن البرنامج كما أخبرني لكنني لا أفهم كيف يتم ذلك.
تصور أن البرنامج فقط حرف إنجليزي كـ M . إذا أخذت ميكروسكوبا على مستوى النانو، لرأيت خطوات كثيرة وكلها بحرف واحد لا غير، معذرة فهمي للأنظمة والبرمجيات قليل، هذا الذي استطعت فهمه ووصفه. قال أحد الجالسين حول النار: الفكرة واضحة واصل.

فلكي يدخل نظاما، أية نظام يكسر حاجزه الأمني، ثم يقرأ أوامر البرنامج ليحرفها، ثم يحول كل هذا ويعمل به ما يريد. بهذه البساطة، وإذا واجهتْ البرنامج صعوبات، يبرمج البرنامج نفسه ليحلها في ثوانٍ. البرمجة البيولوجية، برمجة متقدمة جدا يصدق عليها هراء الفلكيين بالأكوان المتعددة، معادلة رياضيةً اخترعوها وصدقوها ثم آمنوا بها، وهم يعلمون علم اليقين أنه ليس ثمة آلاف النسخ الأخرى من هذا الكون. وأول من يكذبه هم. لكن العالم مليء بالعجائب. لبرنامج " أنت أنا " نسخة واحدة فقط على الأرض.

جلس أنت أنا من النوم فتح قناة الصين التلفزيونية ورأى المسؤولين الصينيين يكافئون رجلا وهميا لحلوله البرمجية لمشكلة الثلاثة آلاف دولارا. معذرة، بصق أنت أنا على الشاشة. ما أكذبكم ؟!.
هذا المشهد التلفازي أغضب أنت أنا. لنبدأ بكسر الجدار المالي في مانهاتن ثم نرى كذبهم الإعلامي أيضا. وهؤلاء لا يقارن بهم أحدا في الحيلة والكذب. حدث نفسه بهذا.

العالم تعيس بسبب هؤلاء المجرمين التي تبدو ملابسهم زاهية وهي ملأى بالجبروت والطغيان. لو كان لطغيانهم رائحة لتلوثت الأرض بهم منهم. أقول جلس أنت أنا، وأخرج حسابه الوهمي في بنك مانهاتن، وعليه أن يخترق البنك ثم البنك المركزي ثم مؤسسة النقد الأمريكية. سيكون العمل متعبا هذه المرة، لكنه سيتحقق في النهاية. ربما احتجت يومين أو ثلاثة. لم يخرج أنت أنا من غرفته إلا للغداء أو العشاء مع والديه. إخوته يجيئون في العطلة الأسبوعية بأسرهم وأولادهم. أخبر أنت أنا والديه بأنه مشغول في مشروع جديد سيأخذ منه بعض الوقت وطلب منهما الدعاء بالتوفيق. ربي يوفقك يا ولدي، أنت ولد طيب وتحب مساعدة الناس، والذي يساعد الناس ربنا يساعده.

هل أفضح بعض الحسابات الشخصية ؟. لا، لا تفعل قالت له نفسه. هدفك محدد، لا تشتغل بالأفراد، اشتغل للمصلحة العامة. جلس أمام الشاشة وشغل صوتا يحب سماعه دائما. حسنا هذا بنك مانهاتن. معذرة يا بنك مضطر لفعل هذا !. الحسابات الصغيرة سأرجع لها لاحقا، وأرجع أموالها. غريب هذا البنك يستخدم هذا البرنامج الأمني الضعيف !. فعلا عجيب جدا !. حسنا مؤسسة النقد، أنا فيها الآن. أين صناديق البورصة. هذا أو هذا ؟
هذا هو. ممتاز.
ضغط زر برنامجه البيولوجي. لحظات فقط. يبدو برنامجهم جيدا إلى حد ما.

بعد يومين، حدثت في شارع الجدار ضجة كبرى عالمية. اختفت الأسهم من الشاشات، لا يوجد أسهم. وأموالها غير موجودة !. نحن نتحدث عن تريليونات من الدولارات. سوق الأسهم في شارع الجدار (وول ستريت) يتصدر أخبار العالم. شارع الجدار المالي تحت الهجوم. نادت إدارة البورصة الشركات البرمجية المتخصصة التي عقدت معها اجتماعات سابقة بعد حادثة الصين.

وجَعلتْ قاعدة البيانات مصدرا مفتوحا لهم. هذا بحد ذاته مشكلة أمنية أن تجعل برنامج المال مفتوحا لهؤلاء المبرمجين؛ فقد يُغيِّر شيء في النظام لصالحه أو لصالح شركته. عقدوا اجتماعات كثيرة ولم يسمح لهم بالخروج، أُحضِر لهم الطعام وفُرِّغ الفندق المجاور لمبنى البورصة لهم فقط، وجعلوها صالات مفتوحة للشركات البرمجية.
المشكلة الرئيسة التي لم يستوعبوها، بأن التغيير في النسخة الأخرى لن يستطيعوا مشاهدته إلا ببرنامج أنت أنا. مبرمجوهم لا يعرفون شيئا عن البرمجة البيولوجية. فلن يجيء منهم حلا للاختراق.

أُستنفر الأمن المركزي من هجوم عسكري. تحدث رؤوساء المباحث الفيدرالية الأمريكية مع بعضهم: لا تقلقوا من طائرات تهاجمنا؛ لأنه لن يحدث ذلك. كان هجوم ١١/٩ من فعلنا نحن كما تعلمون. هذه هي الحقيقة التي لا نستطيع أن نصرح بها. ولو حدث أن هاجمت طائرات فنحن مستعدون لها. نحن مشكلتنا ليس هجوما جغرافيا عسكريا، مشكلتنا هجوما معلوماتيا.

سألت كاثي الموظفة في إحدى محطات التلفاز الأمريكية الإخبارية في برنامجها الأسبوعي. كاثي شعرها أسود قصير، خضراء العينين، لم يكن بينها وبين مقابلها طاولة، فاضطرت لأن تضع ساقا على ساق وظهر بعض فخذها السفلي، إن لم يعجبك اللقاء؛ فاستمتع بقطعة الفخذ المكشوفة. أعطى المخرج إشارة البدء: أنا كاثي يونغ أحييكم مشاهدي الأعزاء في مقابلة مع بعض المسؤولين في البورصة: توجهت بالسؤال: أخبرني جاك ما الذي يحدث ؟!. أجابها: حقيقة وبكل أسف إلى الآن لا ندري ما الذي حدث ويحدث !.
رفعت المُقابِلة حاجبيها متعجبة وقالت: لا تعلمون ما الذي يحدث حتى هذه الساعة !؟ بكل أسف يا كاثي نعم حقيقة لا نعلم، لكننا قمنا بما يلزم للتصدي لهذا الاختراق حتى أننا جئنا بالهاكرز المسجونين ضمن الفريق. أنا متفائل بأننا سنسيطر على الوضع، أرجو ذلك.

ردت عليه كاثي بسرعة: هذا نفس كلام الصينيين. ولا زالوا منذو عشرة أيام وهم لم يستردوا سوى الحسابات التي بثلاثة ألاف دولار. دعيني أخبرك كاثي بحقيقة لم يصرح بها الصينيون: بأن الذي رد المبلغ هم المخترقون أنفسهم وليس الصينيون. زاد تعجب كاثي. ثم أعقبت بسؤال سريع هل نحن أمام دول أو منظمات إرهابية أو أشخاص معتوهين لا يقدرون خطورة أعمالهم ؟

لا استطيع أن أفيدك بشيء معذرة. الذي يحدث خارج تصوراتنا. لكنني أعدكِ بأننا سنحل المشكلة؛ فخبراتنا في هذا المجال تعتبر من الخبرات المتقدمة عالميا. هل ستستعينون بدول أخرى ذات خبرات عالية. طلبنا مساعدات برمجية من أصحاب برنامج بيجسوس الإسرائيلي الذي يتجسس على الجوالات والأجهزة الحاسوبية لكنهم اعتذروا. قالت كاثي: ألا يثير هذا غرابتك بأنه ربما إسرائيل متورطة في هذا. أجاب جاك: مستحيل. لا تجرؤ إسرائيل على ذلك لأنه إذا سقط اقتصاد أمريكا، سقطت إسرائيل تبعا. المشكلة: الكل يتخوف من الاقتراب لأنه سيكون هدفا قادما.

قالت كاثي: هل القائمة طويلة ؟ حقيقة لا ادري. لكنني ألاحظ بأن المعتدين يستهدفون مراكز مالية عالمية. فاعتقد أوروبا وروسيا وربما بعض الدول العربية المالية. ليست هذه إجابة، هذا توقع مني، فلا تحملي إجابتي محمل الجد. يستطيع المعتدون الدخول إلى البيانات الشخصية لكل الحسابات البنكية في أمريكا، لكنهم لم يفعلوا. ابتسم جاك وقال: هؤلاء معتدون مؤدبون وأنا واثق بأنهم يشاهدوننا الآن. وكذلك يا كاثي هؤلاء ليسوا مبتزون أو لصوص؛ لأن المال المخطوف من الصين لم يخرج من الصين؛ لأنه لو خرج لرأينا الرصيد ارتفع في مكان آخر، دعيني أوضح لك الفكرة: حينما تحولين مالا من حساب إلى حساب، حسابٌ سينقص لكنه يزيد بنفس المقدار في حسابٍ آخر. الذي يحدث هنا أمر مختلف، ينقص في حساب ويختفي المبلغ، ثم إننا لا نستطيع العثور عليه ولا تتبعه.

فتحت كاثي فاها مندهشة: أوه لا أصدق جاءتني رسالة على جوالي من البنك بأن أسهمي بيعت بربح ٣%.
طَلَبَ منها جاك: دعيني انظر. اعتقد بأننا في حاجة لأن ننهي هذا اللقاء. أظن المخترق يشاهدنا الآن ويرسل رسائل إلى الناس عبر جوالك. أُنْهِي اللقاء مباشرة.

شاهد ٢٠٠ مليون أمريكي اللقاء بين كاثي وجاك. وتيقنوا بأنهم في خطر حقيقي. استطاع المخترقون أن يبيعوا أسهم كاثي مع ربح في سوق الأسهم على الهواء مباشرة، بيعت أمامهم الأسهم التي لا يستطيع أحد أن يراها. ثم أرسل رسالة جوالية إلى كاثي، ولا يعرفون كيف جاءت. وكل هذا حدث تحت نظر العالم، ولا أحد من المبرمجين الأمنيين في فندق مانهاتن استطاع تتبع ما حدث. لا أحتاج أن أحدثك عن كآبة المبرمجين، ولكن كان إعجاب المبرمجين المسجونين أكثر من غيرهم.

شاهد العالم ما جرى في أمريكا، أعلنت سويسرا بأنها تلقت تهديدا وإنذارا مبكرا. أنتم المرة القادمة. استنفر العالم بأسره وهو جاهل تماما في فهم ما حدث وما يحدث.

قررت دول النفط وقف التعامل بعملة الدولار في بيع برميل الزيت، واعتمدت كل دولة عملتها، بعد أن كان النفط مربوطا بالدولار، طبعا الذي ربطه كيسنجر. عفوا لو خرجت عن القصة قليلا: يكفي أن تعرفوا بأن كيسنجر كان رئيس تقرير ١١/٩ هجمات سبتمبر على البرجين؛ لتعرفوا ثقل هذا الرجل السياسي. ربما هذا التقرير أخطر تقرير وفي نفس الوقت أكذب تقرير؛ لأنه قام على إخفاء الأدلة لا إظهارها !. لا زلت متعجبا من هذا !. عموما سقطت العملة الصينية بسبب سقوط الوي شات. وصل إلى جوال كاثي يونغ رسالة جديدة: سويسرا تلقت تهديدا. وصارت تخبر مشاهديها برسائل المخترقين. الذي لم يكن سوى " أنت أنا ".

ارتفعت نجومية كاثي عالميا؛ كأنها صارت المتحدث الرسمي للمخترقين. ما سرك يا كاثي ؟. أنت إعلامية صادقة، والغير صادقين في كل مكان على الشاشات. نظرت كاثي في جوالها، واندهشت، وسُمع صوت بكائها ونحيبها، ألقت الجوال وغطت يديها على وجهها وأشارت إلى رسالة في جوالها: حوَّلت وزارة الصحة إلى حسابك سبعمائة ألف دولار لعلاج ابنتك كارول من السرطان.

وقع هذا تحت بصر العالم المشدوه. أحبَّ كثيرٌ من المذيعين والمذيعات أن يراسلهم المخترقون. لكنه لم يفعل. توقفت الرسائل إلا رسالة لاحقة وصلت بتهديد إسرائيل. فلم يعد الموضوع موضوعا ماليا. صار الاختراق في أنظمة الاتصالات. أعلنت شركة بيجسوس توقفها تماما؛ خشية اختراق الأمن الإسرائيلي؛ فقد أقفلت أجهزتها ومبناها وشبكتها احتياطا من الاختراقات الأمنية. كانت كاذبة، عملت تحت اسم آخر.

شعر " أنت أنا " بارتياح عظيم. ولأول مرة رأته والدته مبتسما منذو زمن طويل خاصة في الأيام الأخيرة. والدتي العزيزة هل اخترتي زوجة لي ؟. بدى الفرح على والدته وصفرت تصفيرة الأفراح وتمايلت برأسها رقصا:
أنت تريد الزواج سألته متعجبة مسرورة ؟ موجودة يا ولدي، اختر من تريد: عندك (شي إز وشي واز) ؟.
(she is - she was)

أجابها: ولا واحدة. أعقبت والدته مبتسمة: ولا يهمك في غيرهم كثير. اسمع يا زوجي العزيز ولدك يريد الزواج !. قال والده: ما عليكِ منه هذا لعَّاب كبير. ضحك الجميع. قال أنت أنا في نفسه أنا لعَّاب صغير. اختفى بعدها أنت أنا إلى الآن !.

بعد أسابيع من هذه الحوادث، اختفى أنت أنا كما قلت. بحثنا عنه وبحثت أسرته عنه، لم نجده. ولا زال مفقودا. وصلتني رسالة بعد أشهر في البريد بلا عنوان. فتحتُ الرسالة، قرأتُ: قد يبتسم المرء عندما يرى رسمة فنية، لكن ربما كان وراء تلك الابتسامة ألم خفي تلحظه وراء العينين. معظمنا مرَّ عليه لحظة صوت بكاء خفي يخرج من قاع صدره، إنه يحدث معي الآن، إنه يؤلمني كثيرا: شعور الظلم والقهر والغدر.

رجاءً: اطلبْ من صاحبك الرسام أن يرسم لوحة فنية لمبنى الأمم المتحدة، تكون الدول: حيتانا قاتلة وأسماكَ قرش وأسماكا صغيرة؛ لأن هذا هو واقعها !. لم أهاجر، ولن أهاجر؛ سأظل مختفيا. سأعيش لاجئا في المخيمات، كخروف من الخرفان ينتظر التضحية به؛ عرفتُ أن حكومتي تريد أن تسلمني إلى دول البنوك ؟!.
انتهت رسالته هنا.

أخذ صاحبه عودا من النار وقلَّب به الجمر والرماد، وواصل حديثه: أذكياؤنا إما مهاجرين، أو مطاردين، أو محبوسين، أو مقتولين ؟!. سادَ الصمتُ بين الشباب الأربعة، نظرَ بعضهم إلى بعض. دفنوا الجمر بالتراب، وصارت صدورهم جمرا مُتَّقدا ليس عليه رماد. ذهب كل واحد منهم إلى فراشه وغطى وجهه بصمت. وكان الصمت أكثر معنىً من الكلام !. قال صمتهم: احفظوه لا تسلموه !. كان ثروةً، لكنهم خسروه. كان إنسانا ذكيا نافعا لهم، لكنهم كخروف من الخراف خرَّفوه.

انتهى